هو العليم

معاناة ومحن سيّد الشهداء و علي الأكبر يوم عاشوراء

بحث منتخب من «معرفة الإمام»

إعداد: الهيئة العلمية في موقع مدرسة الوحي

@MadrastAlwahy

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمد

وعلى آله الطيبين الطاهرين

واللعنة على أعدائهم أجمعين

نرى من الضروريّ هنا أن نذكّر أنّ بعض السفهاء يظنّون أنّ وقائع عاشوراء كانت هيّنةً عاديّة على سيّد الشهداء عليه السلام. وأنّ المعاناة والمشقّة والعطش والجرح والقتل والأسر كلّها أُمور سهلة يسيرة، إذ إنّ الإمام عليه السلام ذا الروح الملكوتيّة لا يؤثّر عليه العطش والجوع والجرح والشمس والسيف البتّار. فهو يواجه هذه الأشياء كلّها بوجوده النورانيّ والتجرّديّ

وكأنّها حلوى لذيذة الطعم. ثمّ يتعجّبون من عليّ الأكبر كيف قال لأبيه: العطش قتلني، وثقل الحديد أجهدني؟!

ويجيبون أنّ أباه روّاه بوضع لسانه أو خاتمه في فيه. والمراد من ثقل الحديد ليس ثقل الدرع، بل هو كناية عن عظمة الجيش المتدرّع بالحديد الحامل للسيوف إذ يحول دون حملته.[1]

وهذا فهم غير سديد. فقد كان سيّد الشهداء عليه السلام بشراً له جسم طبيعيّ. وكان يُدرك العطش جيّداً، ويشعر بالجرح جيّداً، ويحسّ بعويل النساء وصيحات الأطفال: العطش العطش. بل كان أكثر منّا في ذلك بكثير لأنّه كان إنساناً كاملاً. ويستلزم الكمال في الإنسانيّة ظهور المحبّة والمودّة للمخلوقات الإلهيّة، وإدراك اللوازم البدنيّة والطبيعيّة التي تعدّ شرطاً لمقام جمع الجمع بنحو أعمق في نفسه.

---

[1] ذكر المرحوم المحدِّث القمّيّ في «نفثة المصدور في تجديد أحزان يوم العاشور»، ص ٢٥، قضيّة توجيه الحديد بالجيش.

أجل، إنّ عشقه للّه، وتفانيه في القرآن والسنّة النبويّة، ومنهاج الولاية العلويّة، وبصيرته وعمق وعيه لانحراف التأريخ والتفسير والحديث وغصب الحكّام الغرباء عن الدين ومعارفه، الذين وصل بهم الدور إلى يزيد الفاسق الفاجر، كلّ ذلك قد ضيّق عليه الدنيا فلم يجد دواءً مفيداً لتنبيه الناس إلاّ الشهادة والجراح والأسر. ولذا سنّ هذا المنهاج بعشق، وتحرّك للقضاء على الحكومة الأمويّة المتفرعنة، تلك الحركة التي لا تتوقّف ولا رجعة فيها، وإن كانت واقعة الطفّ قد حدثت في منتصف الطريقفَسَلاَمٌ عَلَيهِ ثُمَّ سَلاَمٌ عَلَيهِ ثُمَّ سَلاَمٌ عَلَيهِ. وَاللَّعْنُ عَلَى عَدُوِّهِ، ثُمَّ اللَّعْنُ عَلَى عَدُوِّهِ، ثُمَّ اللَّعْنُ عَلَى عَدُوِّهِ.

أَرأيتم كيف أثّر عليه استشهاد فِلْذَتَي كَبدِهِ: عليّ الأكبر وطفله الرضيع، فسوّد الدنيا في عينيه؟ بَيدَ أ نّه تلقّي ذلك بعشق لأنّه كانلِلَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَهِ وَإلى اللَهِ.

استشهاد الطفل الرضيع يوم الطفّ

الطفل الرضيع أُمّه الرباب[1] ابنة امرئ القيس بن عديّ، وأُمّها هند الهنود. قال السيّد ابن طاووس رحمه الله: ولمّا رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبّته، عزم على لقاء القوم بمهجته ونادى: هَلْ مِنْ ذَابٍّ يَذُبُّ عَنْ حَرَمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ؟! هَلْ مِنْ مُوَحِّدٍ يَخَافُ اللهُ فِينَا؟! هَلْ مِنْ مُغِيثٍ يَرْجُو اللهَ بِإغاثَتِنَا؟! هَلْ مِنْ مُعينٍ يَرْجُو مَا عِنْدَ اللهِ فِي إعانَتِنَا؟!

فارتفعت أصوات النساء بالعويل. فتقدّم إلى باب الخيمة وقال لزينب:نَاوِلِينِي وَلَدِيَ الصَّغِيرَ حَتَّى أُوَدِّعَهُ. فَأَخَذَهُ وَأَوْمَأَ إِلَيهِ لِيُقَبِّلَهُ، فَرَمَاهُ حَرْمَلَةُ بْنُ كَاهِلِ الأَسَدِيِّ لَعَنَهُ اللهُ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي نَحْرِهِ فَذَبَحَهُ.

---

[1] «دمع السجوم» ص ١٨٦.

وما أجمل قول الشاعر وهو يصوّر هذا المنظر!

فقال عليه السلام لزينب: خُذِيهِ، ثُمَّ تَلَقَّي الدَّمَ بِكَفَّيْهِ فَلَمَّا امْتَلاَتَا رَمَي بِالدَّمِ نَحْوَ السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: هَوَّنَ عَلَى مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ اللهِ!

وفي «الاحتجاج»: أ نّه لمّا بقي فرداً ليس معه أحد إلاّ ابنه عليّ بن الحسين، وابنٌ آخر في الرضاع اسمه عبد الله، أخذ الطفل ليودّعه، فإذا بسهم قد أقبل حتّى وقع في لبّة الصبيّ فقتله. فنزل عن فرسه وحفر للصبيّ بجفن سيفه ورمّله بدمه ودفنه.[1]

هذا الطفل الرضيع الذبيح وسكينة من أُمّ واحدة، وهي الرباب ابنة امرئ القيس، المارّ ذكرها. وكان سيّد

---

[1] يقول: «وضع حرملةُ السهم في القوس فأحدث ضجيجاً بين الملائكة. عندما انطلق السهمُ من قوسه المشؤوم استقرّ في نحر الطفل مرفرفاً. لمّا مزّق السهمُ الأليم نحره فإنّه انتهك يد الله (سلالة الإمامة الطاهرة). منذ وتّرت السماء قوسها (نزل بلاؤها) لم ير أحد سهماً ضرب هدفين. أخرج الإمام السهم وقال: اللهمّ احكم بيني وبين هؤلاء الكافرين. هل هذا البرعم الغضّ من براعم نبيّك أهون عليك من فصيل ناقة ثمود؟».

الشهداء عليه السلام شديد الحبّ لسكينة والرباب، وهما أيضاً كانتا تحبّانه إلى درجة أنّ ابن الأثير ذكر في أحوال الرباب زوجة الحسين عليه السلام أنّها بقيت بعده سنة لم يظلّها سقف بيت حتّى بليت وماتت كَمَداً. وقيل: إنّها أقامت على قبره سنةً وعادت إلى المدينة فماتت أسفاً عليه.

أمّا حبّ الحسين عليه السلام لسكينة فقد بلغ مبلغاً أنّه خاطبها بقوله: لا تحرقي قلبي بدمعك حسرةً!

لاحظوا مدى مقام مودّته في عالم الكثرات على أساس محبّة عالم الوحدة كم كان رفيعاً عالياً صحيحاً، إذ إنّ قطرات من دموع ابنته العزيزة تحرق قلبه حسرةً. هذه كلّها نكات وحِكَم.

ذكر المرحوم المحدِّث القمّيّ والمرحوم آية الله الشعرانيّ أ نّه رُوي في بعض المقاتل أنّ الحسين عليه السلام لمّا نظر إلى اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته صرعي التفت إلى الخيمة ونادي: يَا سُكَيْنَةُ! يَا فَاطِمَةُ! يَا زَيْنَبُ! يَا

أُمَّ كُلْثُومَ! عَلَيكُنَّ مِنِّي السَّلاَمُ[1] !فنادته سكينةُ:يَا أَبَه! أَستَسْلَمْتَ لِلمَوْتِ؟! فَقَالَ: كَيْفَ لاَ يَسْتَسْلِمُ لِلمَوْتِ مَن لاَ نَاصِرَ لَهُ وَلاَ مُعِينَ؟!

...فَأَقْبَلَتْ سُكَيْنَةُ وَهِيَ صَارِخَةٌ وَكَانَ يُحِبُّهَا حُبَّاً شَدِيداً. فَضَمَّها إلى صدره ومسح دموعها وقال:

أجل، لم أجد في المقاتل أنّ اسم الطفل الرضيع، الذي استُشهد وأُمّه الرباب، عليّ أو عليّ الأصغر. وذكر البعض أنّ اسمه عبد الله. بَيدَ أنّ الثابت عندي هو أنّ هذا الطفل اختار الشهادة بإرادته واختياره ولبّى نداء أبيه. وهذا سرّ من أسرار عالم الخلقة، إذ يمتلك الأطفال إدراكاً واختياراً

[1] «نفثةالمصدور في تجديد أحزان يوم العاشور» ص ٣٨ و ٣٩، الطبعة الحجريّة. قال المرحوم المحدِّث القمّيّ هنا: وقُبض الحسن المثنّي بن الحسن وله خمس وثلاثون سنة. وضربت زوجته فاطمة ابنة الحسين عليه السلام على قبره فسطاطاً، وكانت تصوم النهار وتقوم الليل إلى سنة. نقل ذلك الشيخ المفيد وكثير من علماء الشيعة والسُّنّة. وكان هذا شائعاً بين النساء المحترمات الحانيات.

وقوّة معنويّة للجذب والتنفير. فلهذا ضحّى هذا الطفل الرضيع بنفسه على منهاج أبيه.

وَالسَّلاَمُ عَلَيهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ صَارَ عَطْشَاناً وَيَوْمَ ذُبِحَ فِي يَدَيْ أَبِيهِ قَبْلَ أَنْ يُقَبِّلَهُ وَيُوَدِّعَهُ.

فضائل عليّ الأكبر عليه السلام واستشهاده

وَأَمَّا استشهاد عليّ الأكبر روح سيّد الشهداء عليهما السلام، فالثابت أنّه كان أكبر ولد الإمام عليه السلام، وكان له من العمر خمس وعشرون سنةً وله زوجة وولد.[1] وكان أشبه الناس بجدّه الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً.

في «إرشاد» المفيد: أُمّه ليلى ابنة أبي مُرَّة بن عُروة بن مسعود الثقفيّ من بني ثقيف. جدّه عروة بن مسعود هو

---

[1] «نفس المهموم» ص ٢١٤؛ و«دمع السجوم» ص ١٨٤ . قال آية الله الشعرانيّ بعد هذه الابيات: أيّاً كان قائل هذه الابيات، الإمام عليه السلام أو شخص آخر أنشدها على لسانه، فلها مصداق، إذ إنّ سكينة عمّرت طويلاً وكانت خيرة نساء عصرها. ولم تكن امرأة مثلها في كمال الشرف والادب والعظمة . وكانت دارها مجمعاً للأُدباء والشعراء، والجميع ينتظرون منها الإكرام والعطاء، ويقصدون زيارتها من مدن بعيدة.

أحد السادة الأربعة في الإسلام، وأحد رجلين عظيمين في قوله تعالى حكاية عن كفّار قريش: {وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَـذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}.[1]

وهو الذي أرسلته قريش إلى النبيّ صلّي اللَه عليه وآله يوم الحديبيّة فعقد معه الصُّلح وهو كافر. ثمّ أسلم سنة تسع من الهجرة بعد رجوع المصطفي من الطائف، واستأذن النبيّ صلّي اللَه عليه وآله في الرجوع لأهله. فرجع ودعا قومه إلى الإسلام. فرماه واحد منهم بسهمٍ وهو يؤذّن للصلاة فمات. فقال رسول اللَه صلّي اللَه عليه

---

[1] «نفس المهموم» ص ١٩٢ و ١٩٣؛ و«دمع السجوم» ص ١٦٤ و ١٦٥ . ومن الادلّة على أنّ له زوجة وولداً رواية الشيخ الكليني عن عليُ بن إبراهيم القمّي، عن أبيه، عن أحمدبن محمّد بن أبي نصر البزنطي رضي اللَه عنه، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: سألته عن الرجل يتزوّج المرأة ويتزوّج أُمّ ولد أبيها. فقال: لا بأس بذلك. فقلتُ له: بلغنا عن أبيك أنّ عليُ بن الحسين عليهما السلام تزوّج ابنة الحسن بن عليُ وأُمّ ولد الحسن عليه السلام، وذلك أنّ رجلاً من أصحابنا سألني أن أسألك عنها. فقال عليه السلام: ليس هكذا، إنّما تزوّج علىّبن الحسين عليه السلام ابنة الحسن عليه السلام وأُمّ ولد لعليُ بن الحسين المقتول عندكم!ورواه الحميريّ بسند صحيح مثله. وفي الزيارة الطويلة المرويّة عن الشمإلىّ، عن الصادق عليه السلام قال في زيارة عليُ بن الحسين المقتول بالطفّ:صَلَّى اللَهُ عليكَ وَعلى عِتْرَتِكَ وَأَهْلِ بَيْتِكَ وَآبَائِكَ وَأَبْنَائِكَ!

وآله لمّا بلغه ذلك: مثل عروة مثل صاحب يس دعا قومه إلى اللَه فقتلوه.

(كذا في « شرح الشمائل المحمّديّة» في شرح قوله صلّي اللَه عليه وآله: ورأيتُ عيسي ابن مريم عليه السلام فإذا أقرب من رأيتُ به شبهاً بعروةبن مسعود).

روي الجَزَريّ في «أُسد الغابة» عن ابن عبّاس أنّه قال: قال رسول‌اللَه صلّي‌اللَه عليه وآله: أربعة سادة في‌الإسلام: بِشر بن هلال العبديّ، وعديّ بن حاتم الطائيّ، وسُراقة بن مالك المُدلَجيّ، وعُروة بن مسعود الثقفيّ.

وقال في «الملهوف»:**مِنْ أَصْبَحِ النَّاسِ وَجْهاً وَأَحْسَنِهِمْ خُلْقاً، فَاسْتَأْذَنَ أَبَاهُ فِي القِتَالِ، فَأَذِنَ لَهُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيهِ نَظَرَ آيِسٍ مِنْهُ وَأَرْخَي عَلَيهِ السَّلاَمُ عَيْنَهُ وَبَكَي.**

وروي محمّد بن أبي طالب في مقتله: إِنَّهُ عَلَيهِ السَّلاَمُ رَفَعَ شَيْبَتَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَقَالَ: اللَهُمَّ اشْهَدْ عَلَى هَؤلاَءِ القَوْمِ فَقَدْ بَرَزَ إِلَيهِمْ غُلاَمٌ أَشْبَهُ النَّاسِ خَلْقاً وَخُلْقاً وَمَنْطِقاً بِرَسُولِكَ. كُنَّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى نَبِيِّكَ نَظَرْنَا إِلَى وَجْهِهِ.

اللَهُمَّ امْنَعْهُمْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ، وَفَرِّقْهُمْ تَفْرِيقاً، وَمَزِّقْهُمْ تَمْزِيقاً، وَاجْعَلْهُمْ طَرَائِقَ قِدَداً، وَلاَ تُرْضِ الوُلاَةَ عَنْهُمْ أَبَداً! فَإِنَّهُمْ دَعَوْنَا لِيَنْصُرُونَا ثُمَّ عَدَوْا عَلَينَا يُقَاتِلُونَنَا.

ثم صاح عمر بن سعد: مَالَكَ؟ قَطَعَ اللهُ رَحِمَكَ،[1] وَلاَ بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَمْرِكَ، وَسَلَّطَ عَلَيكَ مَنْ يَذْبَحُكَ بَعْدِي عَلَى فِرَاشِكَ كَمَا قَطَعْتَ رَحِمِي وَلَمْ تَحْفَظْ قَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ. ثُمَّ رَفَعَ صَوْتَهُ وَتَلاَ: {إِنَّ اللَهَ اصْطَفَىٰٓءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَهُ سَمِيعٌ عليمٌ}.[2]

وعن «أمالى» الصدوق، و «روضة الواعظين» لابن فتّال: وبرز من بعده (أي: بعد عبد الله بن مسلم بن عقيل) عليُ بن الحسين عليه السلام. فلمّا برز إليهم دمعت عين

---

[1] قال آية الله الشعرانيّ في الهامش (٢) من ص ١٦٠ من «دمع السجوم»: كان عمر بن سعد بن أبي وقّاص من قريش من بني زهرة بن كِلاب، والإمام عليه السلام من أولاد عبد مناف بن قصيّ بن كِلاب. فابن سعد كان من قرابة الإمام عليه السلام لكنّه لم يرع حقّ القُربي، وقطع الرحم.

[2] الآيتان ٣٣ و ٣٤، من السورة ٣: آل عمران.

الحسين عليه السلام فقال: اللَهُمَّ كُنْ أَنْتَ الشَّهِيدَ عَلَيهِمْ فَقَد بَرَزَ إلَيهِمْ ابْنُ رَسُولِكَ وَأَشْبَهُ النَّاسِ وَجْهاً وَسَمْتاً بِهِ!

وقال محمّد بن أبي طالب: رفع الحسين عليه السلام سبّابته نحو السماء (وفي نسخة: قبض على لحيته) كما قال الشاعر:

وأخذ عليّ الأكبر عليه السلام يرتجز ويقول:

مِنْ شَبَثٍ وَشَمِرٍ

وشدّ على الناس مراراً ـ وقال في «روضة الصفا»: ـ اثنتي عشرة مرّة ـ وقتل منهم جمعاً كثيراً حتّى ضجّ الناس من كثرة مَن قُتِلَ منهم. وروي أ نّه قتل على عطشه مائة وعشرين رجلاً. وفي «المناقب»: أ نّه قتل سبعين مبارزاً. ثمّ رجع إلى أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة فقال:

يَا أَبَة! العَطَشُ قَدْ قَتَلَنِي وَثِقْلُ الحَدِيدِ أَجْهَدَنِي، فَهَلْ إِلَى شَرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ سَبِيل أَتَقَوَّى بِهَا عَلَى الأَعْدَاءِ؟[1]

فَبَكَي الحُسَيْنُ عَلَيهِ السَّلاَمُ وَقَالَ: وَاغَوْثَاهُ! يَا بُنَيَّ قَاتِلْ قَلِيلاً! فَمَا أَسْرَعَ مَا تَلْقَي جَدَّكَ مُحَمَّداً صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ فَيَسْقِيكَ بِكَأْسِهِ الأَوْفَى شَرْبَةً لاَ تَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً![2]

فرجع إلى القتال وهو يقول:

فلم يزل يقاتل حتّى قتل إتمام المائتين، وكان أهل الكوفة يتّقون قتله. فبصر به مُرّة بن مُنقِذ بن النُّعمان العَبْديّ الليْثيّ فقال: عليّ آثام العرب إن مرّ بي يفعل مثل ما كان يفعل إن لم أثكله أباه! فمرّ يشدّ على الناس بسيفه فاعترضه مُرّة بن منقذ فطعنه فصُرع.

---

[1] «نفس المهموم» ص ١٨٩؛و«دمع السجوم» ص ١٦٠ .يقول: «أخذ ملك العاشقين وخلاّق المحاسن لحيته الشريفة بيده.قال متأوّهاً متحسّراً: اللهمّ أنت تري قد بزر ولدي على الاكبر إلى الميدان.وهذا الفتي يشبه المصطفي المختار خَلقاً وخُلقاً وسمتاً».

[2] على وزن كَتِف للضرورة الشعريّة.

في «الإرشاد»، و «تاريخ الطبريّ»: اعترضه مُرّة، وطعنه، فصرعه. واحتواه الناسفَقَطَّعُوهُ بِأَسْيَافِهِمْ إرباً إرباً.

وقال أبو الفرج: وجعل يكرّ كرّة بعد كرّة حتّي رُميَ بسهمٍ فوقع في حلقه فخرقه. وأقبل ينقلب في دمه، ثمّ نادي:يَا أَبَتَاهُ عَلَيكَ السَّلاَمُ!هذا جدّي رسول الله صلّي الله عليه وآله يقرئك السلام ويقول: عَجّل القدومَ إلينا.وَشَهِقَ شَهْقَةً فَارَقَ الدُّنْيَا.

وفي بعض المقاتل: ثمّ ضربه منقذ بن مُرّة العبديّ لعنه اللَه على مفرق رأسه ضربةً صرعته وضربه الناس بأسيافهم.

ثمّ اعتنق فرسه فاحتمله الفرس إلى عسكر الأعداءفَقَطَّعُوهُ بِسِيُوفِهِمْ إرْباً إرْباً. فَلَمَّا بَلَغَتِ الرُّوحُ التَرَاقِي قَالَ رَافِعاً صَوْتَهُ: يَا أَبَتَاهُ! هَذَا جَدِّي رَسُولُ اللَهِ صَلَّي اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ قَدْ سَقَانِي بِكَأْسِهِ الأَوْفَي شَرْبَةً لاَ أَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَداً وَهُوَ يَقُولُ: العَجَلَ! فَإِنَّ لَكَ كَأْساً مَذْخُورَةً حَتَّى تَشْرَبَهَا السَّاعَةَ!

قال حميد بن مسلم: سماع أُذني يومئذٍ من الحسين عليه السلام يقول: قَتَلَ اللهُ قَوْماً قَتَلُوكَ يَا بُنَيَّ! مَا أَجْرَأَهُمو عَلَى الرَّحْمَنِ وَعَلَى انْتِهَاكِ حُرْمَةِ الرَّسُولِ. وَانْهَمَلَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ ثُمَّ قَالَ: عَلَى الدُّنْيَا بَعْدَكَ العَفَا![1]

[1] يقول:«مضي إلى عسكر العدوّ مسرعاً ولا أدري مَن ذا الذي أخذه وأين ذهب.
الذي أعلمه أنّ بدن روح الأرواح قد تقطّع إرباً كآيات القرآن.
لمّا مضي نجل ملك العشق إلى الميدان تبعه أبوه مسرعاً خلفه.
كان يمزّق ميمنة العدوّ وميسرته فعلا النداء (الحذر) من نينوي».

چنان زد صيحه ليلاي

قال المحدِّث القمّيّ نقلاً عن الطبريّ، وأبي الفرج، وابن طاووس، عن الشيخ المفيد رحمه الله:

وَخَرَجَتْ زَيْنَبُ أُخْتُ الحُسَيْنِ عَلَيهِ السَّلاَمُ مُسْرِعَةٌ تُنَادِي: يَا أُخَيَّاهْ وَابْنَ أُخَيَّاهْ! وَجَاءَتْ حَتَّى أَكَبَّتْ عَلَيهِ. فَأَخَذَ الحُسَيْنُ عَلَيهِ السَّلاَمُ بِرَأْسِهَا فَرَدَّهَا إِلَى الفُسْطَاطِ

وَأَمَرَ فِتْيَانَهُ فَقَالَ: احْمِلُوا أَخَاكُمْ (وفي ط وح) فَحَمَلُوهُ مِنْ مَصْرَعِهِ حَتَّى وَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَي الفُسْطَاطِ الَّذِي كَانُوا يُقَاتِلُونَ أَمَامَهُ.

أنشد جدّ آية الله الشعرانيّ رحمهما الله في ذلك قائلاً:

قال الطريحيّ: روي أ نّه لمّا قُتل عليُ بن الحسين عليه السلام في طفّ كربلاء، أقبل عليه الحسين عليه السلام وعليه جبّة دكناء وعمامة مورّدة وقد أرخي لها غرزتين، فقال مخاطباً له:

أَمَّا أَنْتَ يَا بُنَيَّ فَقَدِ اسْتَرَحْتَ مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا وَغَمِّهَا وَمَا أَسْرَعَ اللُّحُوقَ بِكَ!

وقال المرحوم المحدِّث القمّيّ رحمه الله بعد بحثٍ دار حول عليّ الأكبر عليه السلام في أنّه أوّل شهيد من أهل بيت سيّد الشهداء عليه السلام ذاكراً الدليل ممّا اختاره الطبريّ، والجزريّ، والإصفهانيّ، والدينوريّ، والشيخ

المفيد، والسيّد ابن طاووس، وغيرهم: ويؤيّد ذلك الزيارة المشتملة على أسامي الشهداء:

السَّلامُ عَلَيكَ يَا أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنْ نَسْلِ خَيْرِ سَلِيلٍ.[1]

وقال أيضاً: واختلفوا أيضاً في سنّه الشريف اختلافاً عظيماً... فيكون هو الأكبر، وهذا هو الأصح والأشهر.

قال فحل الفقهاء الشيخ الأجل محمّد بن إدريس الحلّيّ في «السرائر» في خاتمة كتاب الحجّ: فإذا كانت الزيارة لأبي عبد الله الحسين عليه السلام يزار ولده عليّ الأكبر، وأُمّه ليلي ابنة أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفيّ، وهو أوّل قتيل في الوقعة يوم الطفّ من آل أبي طالب عليه السلام.

وولد علىّبن الحسين هذا في إمارة عثمان. وقد روى عن جدّه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام. وقد مدحه الشعراء. وروي عن أبي عبيدة وخلف الأحمر أنّ هذه

---

[1] يقول: «لا تجرح قلبي أكثر من هذا يا بنيّ، ولا تُدهش عقلي يا بن ليلي. أيّها الظبي الجميل المعطّر، اعلم أنّ قرّة عيني بوجودك. رحلتَ وأخذتَ منّي الصبر فالدنيا بغيرك خراب أيّها الأكبر. سافرتَ فاسترحتَ من الغموم وتركتني حليف الآلام في هذه الدنيا».

الأبيات قيلت في عليُ بن الحسين الأكبر المقتول بكربلاء قدّس‌الله روحه:

يُغْلِي بِنَي

عليّ الأكبر عليه السلام من منظار معاوية

إلى أن قال المحدِّث القمّيّ:

ويؤيّد ذلك مضمون الأبيات الواردة في مدحه عليه السلام، وما رواه أبو الفرج عن المغيرة قال: قال معاوية:مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الأمْرِ؟

قَالُوا: أَنْتَ!

قَالَ: لاَ! أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الأمْرِ عليّ بْنُ الحُسَيْنِ بْنُ عليّ عليهمُ السَّلاَمُ، جَدُّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّي اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ، وَفِيهِ شَجَاعَةُ بَنِي هَاشِمٍ، وَسَخَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ، وَزَهْوَ ثَقِيفٍ.

هذا الكلام، وتلك الأبيات المذكورة في علوّ الصفات، وقول معاوية الجدير بالثناء: إنّه أولي الناس بخلافة رسول الله، كلّ ذلك يدلّ على أ نّه لم‌يكن ابن ثماني عشرة سنةً، لأنّ صبيّاً مثله لا يقال فيه هذا الكلام.

ذكر أبو جعفر الطبريّ في منتخب «ذيل المُذَيَّل» في تأريخ الصحابة والتابعين:

أنّ أُمّ عليّ هي آمنة ابنة أبي مُرَّة بن عروة بن مسعود، وأُمّها ابنة أبي سفيان.

وقال حسّان بن ثابت في مدح عليّ الاكبر:

ومنهم من ينسب هذين البيتين إلى عمر بن أبي ربيعة، ويروي «شمس العشاء» مكان «شمس النهار».[1]

[1] الباء حرف جرّ، ونَيّ في الاصل نَيِّي وعلى وزن سيّد بمعني اللحم الذي لم‌ينضج، وقد أُسقطت الهمزة للتخفيف.

وعلى هذا فمعاوية عليه الهاوية خال ليلي أُمّ عليّ الأكبر عليه السلام، ويزيد عليه اللعنة بما لا مزيد ابن خال ليلي، وابن خال أُمّ عليّ الأكبر عليه السلام.

من هنا كان معاوية يراه أهلاً للخلافة لانتسابه الثلاثيّ. أمّا سخاء بني أُميّة الذي عدّه من فضائلهم فهو كذب محض. فالسخاء كلّه سخاء بني هاشم. والأموال التي كان يبذّرها معاوية من بيت مال المسلمين بلا حساب من أجل حكومته وإمارته الشيطانيّة، لا ينبغي أن نحسبها سخاءً.

وجملة القول: استبان ممّا جاء في هذا البحث أنّ علي الأكبر عليه السلام لم‌يكن ذلك القويّ الذي لا تؤثّر فيه ضربات الأسلحة من سيف ورمح وغيرهما. كما لم يكن مضطرّاً في تحرّكه واستشهاده، فيأخذ سيفه ويقتل به الكفّار تلقائيّاً. وهو نفسه قال: أَبَه! العطش قتلني وثقل الحديد أجهدني. ولم يكن عند أبيه ماء فيُعطيه. ولم يرد أن يعمل خلاف سنّة الجهاد، والقتل في سبيل اللَه، والتضحية في سبيل الدين، فيقوم بمعجزة أو كرامة، وإلاّ فإنّه كان

قادراً على ذلك بسهولة، وحينئذٍ لم تكن كربلاء بهذا الشكل الذي نعهده.

عندما قال رسول الله للحسين عليهما الصلاة والسلام: وَإِنَّ لَكَ فِي الجِنَانِ لَدَرَجَاتٍ لَنْ تَنَالَهَا إلاَّ بِالشَّهَادَةِ[1] ! فهذا يعني أنّ عليك أن تذهب في سفرك خطوة خطوة بإرادتك واختيارك متحمّلاً المشاقّ والمصائب، وصابراً في سبيل الله، ومضحّياً بنفسك وبابنك عليّ الأكبر، بتلك الكيفيّة المعهودة، حتّى تبلغ مقصودك!

وهذا السيّد الأمير الحرّ الذي هو مثال النبيّ يجب أن يكون رفيقك في هذا الطريق بنحوٍ يتحقّق فيه هُو الهُويَّة الحقيقيّة من نفسيكما الروحانيّتين لجميع أهل العالم، وتُروي جذور شجرةالإسلام التي يبست، وتنقرض حكومة بني أُميّة: معاوية ويزيد وبني مروان، ولا يبقي لهم

[1] «نفس المهموم» ص ٢٤، عن المجلسيّ في «بحار الانوار» عن محمّد بن أبي طالب الموسويّ ضمن بيان رؤياهُ رسولَ الله صلّي الله عليه وآله وسلّم.

أثر. ويتّضح لكافّة أهل هذا العالم وذلك العالم الملكوتيّ أنّ الحقّ غير الباطل.

كان عليّ الأكبر أمل قلب أبيه. فرع من شجرة، ووشيجة من ساق. وهو كأبيه في أُسلوب تفكيره ومرامه ومقصده. وينطبق عليه ما قيل: **كَأَنَّهُ هُوَ، بَلْ إِنَّهُ هُوَ.**

لذا عاد إلى ميدان القتال، وقاتل بجسمه الجريح ولَبانه الذاوي وفمه الجافّ وكبده الحرّان في شدّة حرارة الصيف، إذ كان يوم عاشوراء الخامس والعشرين من السرطان على أساس المحاسبة النجوميّة. أجل، قاتل قتالاً أدهش الصديق والعدوّ، وهو يقول: أَحْمِي عَنْ أَبِي . لهذا له في يوم القيامة مقام لا يناله الشهداء والصدِّيقون.

حوار عليّ الأكبر مع الإمام الحسين عليهما السلام حول الشهادة

نقل المحدِّث القمّيّ عن كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد فقال: ولمّا كان في آخر الليل أمر الحسين عليه السلام بالاستقاء من الماء. ثمّ أمر بالرحيل، فارتحل من قصر بني مقاتل. فقال عقبة بن سمعان: سرنا معه ساعة، فخفق عليه السلام وهو على ظهر فرسه خفقة، ثمّ انتبه

وهو يقول:إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً. فأقبل إليه ابنه عليُ بن الحسين عليه السلام على فرس فقال: لِمَ حَمِدتَ اللَهَ واسترجعتَ؟! فقال:يَا بُنَيَّ! إِنِّي خَفَقْتُ خَفْقَةً فَعَنَّ ـ أَي: ظَهَرَ ـ لِي فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ وَهُوَ يَقُولُ: القَوْمُ يَسْيرُونَ وَالمَنَايَا تَسِيرُ إِلَيهِمْ، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا أَنْفُسُنَا نُعِيَتْ إِلَينَا!

فقال له ابنه:يَا أَبَهَ! لاَ أَرَاكَ اللَهُ سُوءاً! أَلَسْنَا عَلَى الحَقِّ؟!

قال:بَلَى وَالَّذِي إِلَيهِ مَرْجِعُ العِبَادِ!

قال:فَإِنَّنَا إِذاً لاَ نُبالي أَنْ نَمُوتَ مُحِقِّينَ!

فقال له الحسين عليه السلام:جَزَاكَ اللَهُ مِنْ وَلَدٍ خَيْرَ مَا جَزَي وَلَداً عَنْ وَالِدِهِ![1]

[ملاحظة: إن هذا المقال هو عبارة عن بحث منتخب من كتاب)معرفة الإمام– ج ١٥ –ص٢٧٢(لمؤلّفه سماحة العلامة آية الله الحاج السيّد محمد الحسين

[1] «نفس المهموم» ص ١٢٢ و ١٢٣.

الحسيني الطهراني رضوان اللَه عليه، فننصح من أراد الازدياد الرجوع إلى الكتاب المذكور]